البحوث والدراسات

الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير ١٣٢٦ - ١٣٤٩هـ/ ١٩٠٨ - ١٩٣٠م

عبدالمنعم إبراهيم الجميعي
قسم التاريخ – جامعة القاهرة – فرع الفيوم
جمهورية مصر العربية

الملخص:

تتعرض هذه الدراسة لأصل الأدارسة، وقصة وصولهم إلى صبيا جنوب الجزيرة العربية، وارتباط الأهالي بهم نتيجة لما كانوا يتعرضون له من متاعب خلال الحكم العثماني لبلادهم، ونجاح أحمد الإدريسي في تدعيم نفوذ أسرته السياسي وتنظيم الأمور هناك وتمكنه من إقامة إمارة مستقلة ونجاحه في الوقوف في وجه العثمانيين بعد أن استعان بالإيطاليين والإنجليز لتحقيق طموحاته، واضطرار الدولة العثمانية إلى عقد معاهدة معه، ثم تغير موقفه تجاهها خلال الحرب العالمية الأولى. كما تعرضت هذه الدراسة للخلاف بين الأدارسة وآل عائض حول حكم منطقة عسير ثم انقسام هذه الإمارة على نفسها بعد وفاة محمد الإدريسي، وقيام الحرب الأهلية بين أفرادها، ومحاولات الإمام يحيى إمام اليمن استغلال هذه الفرصة ليبسط سيطرته على بعض المناطق التابعة للأدارسة ثم تفضيل الأدارسة للانضمام نهائياً إلى حكم آل سعود طبقاً للاتفاق الذي تم بينهما عام ١٩٣٠.

أصل الإدريسي ودعوته:

أصل الأدارسة بلاد المغرب، وإنما جاءت قصة وصولهم إلى صبيا(*) في أعقاب هجرتهم إلى مكة في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى أى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى حينما رحل السيد/ احمد الإدريسي(١) مؤسس

تم تسليم البحث في مارس ٢٠٠٢ وأجيز للنشر في يونيو ٢٠٠٣.

(*) شمال شرق جيزان على مسافة ٣٢ كم وجنوب أبها بحوالى مائتى وعشرة كيلو مترات.

(١) يرجع نسبه إلى الامام ادريس بن عبد الله المحض الحسني بن فاطمة الزهراء رضى الله عنها، وقد ولد فى العرائش من قرى فاس بالمغرب عام ١١٧٣هـ =

الطريقة الإدريسية[٢] وصاحب المكانة الدينية المعروفة مع بعض أفراد أسرته من فاس بالمغرب إلى مكة المكرمة في عام ١٢١٤ هـ/ ١٧٩٩م، واتخذها مقاما له حوالى ثلاثين عاما، وتتلمذ عليه فيها العديد من أعلام الاسلام نذكر منهم السيد/ السنوسى والسيد/ الميرغنى والشيخ الرشيدى وغيرهم.[٣]

ونظرا لانشغال السيد/ أحمد الإدريسي بعلم الحديث وبمناظراته المتعددة لعلماء مكة وكبار رجال الدين بها علا شأنه، وبرزت شهرته العلمية ومكانته الدينية، واستحسن العديد من الناس مجالسه كما قام بعض أشراف القوم لمجالسته للتزود من علمه، والتفقه على يديه، وكان من هؤلاء بعض أشراف "صبيا" و"أبو عريش" الذين دعوه لزيارة بلادهم التماسا لبركته على حد تصورهم، وانتفاعا بعلمه، هنا نجد الإدريسي يستجيب لدعوتهم، ويؤسس في بلادهم مركزا دينيا وفد إليه العلماء من كل صوب، كما وفد إليه العديد من أبناء عسير الراغبين في التزود بالعلم.

والغريب أن دعوة ابن إدريس لقيت من أشراف وكبراء هذه المنطقة وأهلها من الرعاية والتشجيع ما مكنها من الاستمرار، بالرغم من أن طريقته في التصوف لا تتفق مع موقف أمراء عسير المتشدد من الصوفية والمتصوفين والذين كانت بلدان تهامة ومنها صبيا تابعة لهم في ذلك الوقت،

= (١٧٥٩م) وأخذ علوم الشريعة من علماء المغرب ومن أبرزهم عبد الوهاب التازى والجندرى وغيرهما، وسلك طريقة الصوفية التى تعرف بالأحمدية نسبة إلى اسمه.

للتفاصيل انظر: نخبة من الأساتذة المصرين: معجم اعلام الفكر الانسانى، المجلد الأول، القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤مص ٤١,١.

(٢) هي إحدى فروع الطريقة الشاذلية، وتعتبر الطريقة السنوسية فى ليبيا والطريقة الميرغنية فى السودان فرعين لها.

(٣) المقطم: السنة الثانية والأربعون فى ١١ ديسمبر ١٩٣٠م.

والذين كان من أبرزهم على بن مجثل المغيدى الذى كانت تتبع له هذه البلدان في العقد الخامس من القرن الثالث عشر الهجرى، وكان من أبرز المناصرين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عسير والحريصين على نبذ البدع والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله الأمين.

وقد انتهز ابن مجثل فرصة مكاتبة بعض طلاب عسير الذين يتسمون بالغيرة الدينية يشكون له من شطحات ابن إدريس الصوفية فدعا إلى عقد مناظرة بين ابن إدريس الصوفى، وطلاب العلم العسيريين الشاكين منه والمتشبعين بالروح السلفية على أن تكون هذه المناظرة في حضوره.

وبالرغم من خشية ابن مجثل من انتشار الصوفية في بلاده فقد تعاطف مع ابن إدريس وإن لم يقره على طريقته الصوفية.(٤)

وظل الإدريسي مقيما في صبيا يتولى التدريس في حلقته الصوفية حتى وافته المنية في ١١ رجب ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) بعد ان ترك لأولاده ثروة مادية ومعنوية هائلة خصوصاً أن قبره الذى اعتبره الناس مزارا كان يدر عليهم الكثير من الأموال فقد حصل ابنه وحفيده على الثروة والمال من وراء أهمية هذا القبر(٥) بالنسبة للعامة من الناس.

والمعروف أن زيارة القبور للتبرك بالموتى لا تتفق مع تعاليم الإسلام الصحيحة، ولا مع المبادئ التي نادى بها الإمام محمد بن عبد الوهاب والتي من بينها الابتعاد عن تقديس الأولياء أو جعلهم وساطة بين الله وعباده، ولكن نهاية الدولة السعودية المعروفة جعلت بعض الناس ينقلبون بانقلاب الأحوال، وعلى كل حال فإنه نتيجة لترحيب أهالي صبيا بأبناء الإدريسي

(٤) العرب: الجزء الخامس عدد ذو القعدة والحجة ١٤٠٦هـ (يوليو واغسطس ١٩٨٦م) تحت عنوان مناظرة احمد بن ادريس مع فقهاء عسير- تحقيق الدكتور عبد الله ابو داهش، صفحات ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٦٥.

(٥) Hogarth: Arabia. Oxford, 1922, P. 120.

وترغيبهم لهم في الإقامة بينهم أقام أبناء السيد/ أحمد الإدريسي في صبيا[٦] وتناسلوا بها، وعاشوا بوصفهم أسرة يتمتع أفرادها باحترام الناس وتقديرهم[٧] إذ عاشت أسرته من بعده تتمتع بنفوذ وسلطان عريض يحفها الإجلال الدينى مما أكسبها مكانة خاصة، فقد كان الناس يسعون إلى بابهم أفواجا لتلقين الذكر والتزام الطاعة الواجبة والتوبة مما هم عليه والامتثال لما يقربهم من الله[٨]

نشأة الإدارة الإدريسية:

وقد تولى الزعامة بعد السيد/ أحمد الإدريسي ابنه الأكبر السيد/ محمد الذى توفى في عام ١٢٩٦هـ ثم ابنه السيد/ على الذى توفى في عام ١٣٢٤هـ وكانت زعامة هؤلاء مجرد زعامة دينية تقوم على أساس الفتوى والوعظ ونشر التصوف.

ونظراً لما تعرض له أهالي المخلاف في ذلك الوقت من مظالم على يد العثمانيين نتيجة لفساد الإدارة وانتشار الرشوة، وبعد البلاد عن سلطة الحكومة المركزية، ونتيجة أيضاً لانقطاع الصلة بين الحاكم والمحكوم وترك مشاكل الأهالي بلا حلول خصوصا أن اختلاف اللغة كان يعيق عملية التفاهم بين الحكام العثمانيين والأهالي كل هذا جعل الأهالي نافرين من

---

(٦) سكن صبيا ثلاثة هم السيد / مصطفى والسيد/ السنوسى والسيد/ العربى وقد حافظ هؤلاء على سلالتهم فلم يتزوجوا من غير بيوت الأكفاء والأقران أما عبد المتعال فقد سافر إلى مصر، وتزوج هناك، واقام فى قرية الزينية قرب الاقصر، وقد ولد له عدة أولاد سافر بعضهم إلى بلاد المغرب وتزوجوا من بيت السنوسى وأقاموا فى القيروان.
للتفاصيل انظر: امين الريحانى، ملوك العرب، جـ١، بيروت، ١٩٥١، ص ٢٩٧.

(٧) جورج انطونيوس: يقظة العرب- ترجمة على حيدر الركابى، دمشق، مطبعة الترقى، ص ١٣٦.

(٨) الاهرام: العدد ٩٥٥٦ بتاريخ ٥ شعبان ١٣٢٧هـ (٢١ اغسطس ١٩٠٩م).

الحكم العثماني وثائرين عليه لدرجة أن تطاولت بعض القبائل على الحكومة العثمانية وعلى القوات العثمانية نفسها.

ونظراً لتدهور أحوال منطقة المخلاف الأمنية، وعدم استقرارها لضعف سيطرة الأتراك على ربوعها(٩) عزم السيد/ محمد الإدريسي(١٠) أحد أحفاد السيد/ أحمد الإدريسي على أن يدعم مركز اسرته الروحى ويطالب لنفسه بنفوذ زمنى سياسى يستطيع من خلاله بناء بيت حاكم محرر من سيطرة الأتراك فاستغل ما كانت عليه الدولة من ضعف كما استغل استياء الأهالي من الحكم العثماني، وبقى متحينا الفرص التي يتمكن بها من إثبات مكانته زعيماً على البلاد مستغلا في ذلك ثقافته الواسعة وقدرته الإدارية فبدأ يجذب الأنظار إليه، ولما كانت القبائل في حالة تنافر وصراع مستمر فيما بينها، رأى الإدريسي ضرورة تواجد الوفاق فيما بينها، وتوحيد صفوفها لمواجهة العثمانيين.

---

(٩) أوضح السيد/ محمد الادريسى ذلك فى خطاب مؤرخ ٩ رجب ١٣٣٧هـ/ يوليو ١٩٠٩م، كان قد أرسله إلى أحد أصدقائه بالقاهرة فقال "ان الفوضى كانت ضاربة أطنابها فى هذه البلاد عند وصوله إليها، وأن الانسان كان لا يأمن على حياته بل وصل الحال إلى درجة أن الانسان لا يولع (يوقد) سراج بيته فى الليل مخافة من عدو مراقبة فيبصره على النور فيضربه بالرصاص".
الأهرام، العدد ٩٥٥٦ فى ٥ شعبان ١٣٢٧هـ/ ٢١ اغسطس ١٩٠٩م، وايضا سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٣، ص ٨٢.

(١٠) ولد فى صبيا عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، وتعلم فى الأزهر بالقاهرة، وتتلمذ على يد السنوسيين بعض الوقت فى برقة، كما ذهب إلى السودان وأقام بدنقلة، وتزوج بابنه الشيخ هرون الطويل، شيخ الطريقة الأحمدية هناك قبل أن يستقر فى صبيا ويدير أمورها.
Toynbee, Arnold J, Islamic World, Survey of International Affaris, Vol 1, London 1927, P. 276,

وأيضا ملوك العرب للريحانى، جـ١، ص ٢٩٨.

وعندما قامت الحرب بين قبيلتى صبيا والجعافرة[١١] في عام ١٣٢٠هـ بذل جهوده في إخماد الحرب بين هاتين القبيلتين عن طريق الصلح والتفويض، والاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، ولما نجح في ذلك برزت مكانته، وبدأت الأنظار تتجه إليه، وزادت شهرته بعد أن قبض على بعض الأشخاص المجرمين في صبيا الذين ضج الناس من أفعالهم ونفذ فيهم حكم الإعدام، كما قطع رؤوس ثلاثة أشخاص قصاصا، وأيدى أربعة عشر حدا من بندر جازان[١٢] هذا بالإضافة إلى أنه عالج موضوع مسألة الدماء السابقة بين القبائل فأعلن اسقاط حقوق الأخذ بالثأر برضى جميع القبائل، وأزال ما بين الأهالي من تنافس وأحقاد، وخلصهم من جميع الضرائب واقتصر على أخذ الزكاة الشرعية منهم، كما أمر بأن يكف النساء عن الاختلاط بالرجال.

كل ذلك رفعه في أعين الناس وقربهم إليه[١٣] خصوصا أن الحكومة العثمانية كانت لا تهتم براحة الناس ولا بأمنهم، كما أنها كانت معزولة عن الأهالي، وصلتها بهم كانت مقصورة على جباية الضرائب والقيام ببعض المهام العسكرية، ومن هنا وجد الناس في الإدريسي المنقذ والمخلص لهم مما يعانونه من فوضى وإهمال، فبالغت العديد من القبائل في تقديره كما بايعته قبائل صبيا والحسينى والمخلاف الشامى والجعافرة إماما على المخلاف السليماني، أما القبائل التي لم تبايعه فقد أدخلها تحت نفوذه

---

(١١) اسم قبيلة معروفة من قبائل المنطقة تمتد مواطنها من جربية إلى المقاربة فى ساحل جازان. انظر:عبد الرحمن البهكلى:نفح العود فى سيرة الشريف حمود - تحقيق:محمد العقيلى،الرياض١٤٠٢هـ/١٩٨٢م،ص ٩٠.

(١٢) اسماعيل بن محمد الوشلى التهامى: من تأريخ اليمن الحديث: (ذيل) نشر الثناء الحسن المنبئ ببعض حوادث الزمن من الغرائب الواقعة فى اليمن- تحقيق محمد الشعيبى. صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١٤٤.

(١٣) محمد بن احمد العقيلى: مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، المملكة العربية السعودية، نادى أبها الأدبى، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٣٢.

بالقوة، وأخذ البيعة من زعمائها، كما أخذ منها عددا من الرهائن ليضمن ولاء تلك القبائل له.

ونتيجة لذلك انتشرت صولة الإدريسي إلى "جيزان" و "النضير" و"شدا" و"ضيعة بن غفلان" مما يلى "رازح" ثم إلى حدود "فلله" حيث ذهب إليها واحتلها على رأس حملة قبائلية(١٤). يضاف إلى ذلك أن الإدريسي استطاع أن ينشر دعوته خارج المخلاف حيث اعتنقت بعض قبائل صعدة تعاليمه(١٥) وبدأ يجمع من عشائرها عدة أفخاذ وبطون تحت لوائه.

وبعد أن استتب الأمر للإدريسي أحل الأمن في هذه المناطق محل الفوضى والاضطراب، وعمل على تنظيم حياة البدو من النواحى القضائية والإدارية والاقتصادية فوضع على رأس كل قبيلة من القبائل التابعة له قاضيا وأميرا من قبله بحيث يقوم الأول بالنظر في شئون الأهالي، في حين يقوم الثانى بالنظر في شئونهم الإدارية والحربية ويجمع الزكاة، وقد أخذ على هؤلاء العهود والمواثيق على القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإحياء العلوم والمدارس وإقامة الشريعة وإجراء الحدود(١٦).

كما نظم الإدريسي أمور الموانئ التابعة له فجعل في كل ميناء جمركا(١٧) له عمال وموظفون من قبله لاستيفاء الرسوم الجمركية على الواردات والصادرات، وقد حرص الإدريسي على أن تكون هذه الرسوم أقل مما كانت عليه خلال الحكم العثماني لهذه المنطقة حتى يظهر للناس عدالته وتميزه عن العثمانيين وبالاضافة إلى ذلك كون الإدريسي في صبيا أول

(١٤) احمد حسين شرف الدين: اليمن عبرالتاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص ٢٧٣.
(١٥) السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ٨١.
(١٦) الوشلى: مصدر سابق، ص ١٩٣.
(١٧) هي موانئ "ميدى" و "الشقيق" و "حبل" و"بركة" و "الغور".

مجلس للحكم من أربعة أشخاص وأقام محكمة من خمسة أعضاء[١٨] وعين وكيلا له كان بمثابة "رئيس الحجاب" أو "الصدر الاعظم" كما عين أمينا للمال كان دوره بمثابة دور وزير المالية في الوقت الحالى[١٩] ولكن هل يعنى ذلك أن الأمور استقرت للإدريسي تماما وأصبحت القبائل كلها طوع إرادته؟

الواقع أن الأحداث أثبتت عكس ذلك فبعض القبائل مثل قبائل بنى مروان وأشراف حرض كثيرا ما ثاروا على الأدراسة ورفضوا دفع الزكوات المقررة عليهم، وطردوا عمال الإدريسي من بلادهم، والتجأوا أحيانا إلى صنعاء طلبا للحماية. ويؤكد ذلك قيام الإدريسي بحملات تأديبية على هذه القبائل وردها إلى طاعته[٢٠].

وبالرغم من علو شأن الإدريسي فإن العثمانيين لم يهتموا بأمره في بداية ظهوره، فقد اعتبروه احد رجال الدين المتصوفين الذين سرعان ما ينطفئ نجمهم خصوصا أنه ليس لأسرته نسب راسخ في المنطقة التي يحكمها.

وعلى كل حال فلكيّ يؤكد الإدريسي وجوده في منطقة المخلاف ثار على الحامية التركية الموجودة فيها في عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م وخاض حربا مريرة معها مستغلا في ذلك نفوذه الدينى على الأهالي حتى استطاع أن يؤسس إمارة مستقلة له[٢١].

والسؤال الذى يطرح نفسه هو إذا كان الأدارسة أغرابا عن هذه المنطقة

---

(١٨) مبارك محمد الحرشنى: النظم الادارية والمالية فى تهامة عسير خلال الاشراف السعودى، جدة ١٤٠٥هـ، ص ٥٨.

(١٩) السيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٢٠) الوشلى: مصدر سابق، ص ٧.

(٢١) مديحة درويش: العلاقات السعودية المصرية ١٩٢٤-١٩٣٦، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٧٨م، مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٥٥٦، ص ٣١٧.

وليس لهم في أرجائها خؤولة أو عمومة أو عصبية توطد أقدامهم إذا حزب الأمر ضدهم فكيف دانت لهم الأمور في منطقة المخلاف السليماني وعسير؟

الواقع أن النفوذ الدينى الذى كان يتمتع به أفراد هذه الأسرة هو كل ما يملكونه في هذه البلاد فقد انجذبت إليهم قلوب الناس بعد أن ملئت البلاد ظلما والدليل على ذلك أنه كان يرد إلى السيد/ محمد الإدريسي يوميا ما بين أربعة وخمسة آلاف شخص يصلون معه المغرب والعشاء ثم يستمعون إليه وهو يخاطبهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ويحثهم على اتباع قواعد الدين الصحيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى أن يمضى من الليل أكثره.

ولكي يؤكد الأدارسة قدرتهم الدينية كانوا يظهرون أمام الناس بأنهم من أصحاب الكرامات والمعجزات ومما يروى في ذلك ما ذكره صاحب المخلاف السليماني أن الإدريسي كان يطلى وجهه بمادة الفوسفور، ويخرج على زواره ليلا ليبهرهم بتألق وجهه نتيجة للمادة الفسفورية التي يضعها عليها، وأنه كان أحيانا يحضر سلكا كهربائيا يلفه على حبل يمده إلى من يصافحه فتهتز يده هزا شديدا فيظن المصافح أن الآدريسى من الأولياء أصحاب الكرامات(٢٢). وهذا إن صح لا يتفق مع تعاليم الإسلام الصحيحة ولا مع المبادئ التي نادت بها الدعوة السلفية بنبذ البدع والعدول عن الاعتقاد في قدرة الأولياء على الإتيان بالأمور الخارقة للعادة.

ولما تعاظم أمر الأدارسة حاولت الدولة العثمانية مواجهة الموقف معهم فأرسل إليهم السلطان محمد رشاد خان وفدا لمناصحتهم كان من بين أعضائه سليمان شفيق باشا متصرف عسير، وقد سار خلف هذا الوفد جيش كبير بقيادة سعيد باشا.

(٢٢) محمد بن احمد العقيلى: تاريخ المخلاف السليمانى، جـ١، الرياض، دار اليمامة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٦٧٨.

ولكي يؤكد الإدريسي قوته أمام هذا الوفد وقدرته على مواجهة الأمور استدعى من القرى المجاورة لصبيا نحوا من أربعة آلاف رجل مسلحين[٢٣] لاستقبال أعضاء الوفد ظاهراً، وان كانت الحقيقة أنه أراد ان يثبت أمامهم أن لديه قوة قادرة على حمايته. وفى نفس الوقت استطاع الإدريسي بما يتمتع به من ذكاء إخفاء نواياه فأوضح الوفد أنه "لا طمع له برياسة، وأن القبائل اعتادت أن تلجأ إليه برضا منها لحل ما بينها من مشاكل، وأنها تطلب منه أن يسعفها بالمرشدين لإزالة ما بينها من ضغائن"[٢٤]. وأنه لا هدف له سوى اصلاح الادارة والمحافظة على الأمن، وأنه يعمل لأجل مصلحة الدولة دون أن تكون له مصلحة سوى ما يرجوه من ثواب الآخرة ولكن المأمورين يحرفون الكلام عن مواضعه، ولما سأله الوفد عما أجراه من القصاص بغير أمر السلطان قال "أجريناه بمقتضى التراضى عليه من الجانى أولياء المجنى عليه وللمصلحة العامة في ذلك"[٢٥] فاقتنع الوفد بأقواله وأعرض عنه صفحا، وفوضه في بعض المهام التي كانت سببا في ازدياد نفوذه بين القبائل[٢٦] منها أن يرسل الإدريسي إلى القبائل من المرشدين ما يحل مشاكلهم صلحا بشرط أن يصحبهم موظف من قبل متصرف عسير ومنها إلغاء الضرائب المفروضة من جانب الحكومة العثمانية على أهالي المنطقة والاكتفاء بما يحصل منهم من زكاة شرعية[٢٧] وبذلك تمكن الإدريسي من الحصول على اعتراف الحكومة العثمانية بهيمنته على المنطقة وتم سحب الفرقة العسكرية التي ارسلت من الأستانة إلى عسير وبعد أن نجح

(٢٣) محمد بن احمد العقيلى: مذكرات سليمان شفيق باشا، ص ٣٨.
(٢٤) نفسه.
(٢٥) الوشلى: مصدر سابق، ص ٨٩.
(٢٦) المقتطف: الجزء الخامس من المجلد الثاني والثمانين بتاريخ أول مايو ١٩٣٣. مقال للأستاذ فؤاد حمزة تحت عنوان "اشراف بلاد العرب- أشراف ابو عريش وآل عائض والأدارسة"، ص ٥٤٧.
(٢٧) مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٥٩.

الإدريسي في توطيد مكانته في المنطقة التي امتدت إلى البرك شمالا وإلى الموسم جنوباً عمد إلى تشكيل هيكل إداري ثابت قوامه الوزراء والقضاة وقادة الجيش، فشكل وزارة من أربعة وزراء أولهم يحيى زكرى حكمى الذى كان بمثابة الوزير الأول الذى يرافق الإدريسي في كل جولاته، والثانى كان يحيى عوض باصهى الذى اختص بالشئون المالية فكان يشرف على كل ما يتعلق بالصادرات والواردات والثالث كان حمود بن سرداب الحازمى الذى اختص بالاتصال بالقبائل وفض المنازعات فيما بينها كما كان بمثابة المسئول عن إعداد الجيوش. أما الوزير الرابع فكان محمد طاهر رضوان الذى كان عليه قيادة الجيوش في المعارك.

وإلى جانب ذلك أنشأ الإدريسي محكمة شرعية في صبيا وعين مديرا للشرطة، ومحتسباً لمراقبة الأسواق والحفاظ على الأخلاقيات والقيم والحث على أداء الصلاة في أوقاتها[٢٨].

والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل تم إزالة الخلاف بين الإدريسي والدولة العثمانية بعد هذه المقابلة؟ الواقع أن سليمان باشا متصرف عسير ظل يشكو في مذكراته مر الشكوى من لجوء الإدريسي لكافة الطرق لتقوية نفوذه على حساب الدولة العثمانية، ومن ذلك أنه كان يرسل رجاله إلى القبائل دون علمه ومنها رفضه تسليم الفارين من وجه العثمانيين إلى صبيا بحجة أن تسليم الدخيل ليس من عادات العرب، ومنها دعوته رجال القبائل إلى عصيان الحكومة والتمرد عليها.

ونظرا لفقدان الثقة بين الطرفين أخذ الإدريسي أهبته للزحف على أبها مركز القيادة التركية في ذلك الوقت، وقاعدة المتصرفية فأرسل بمنشوراته إلى القبائل يدعو فيها كل قبيلة إلى الزحف على أبها[٢٩] في عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م وشدد الإدريسي الحصار على أبها، ولكن متصرفها العثماني

(٢٨) نفسه، ص ٦٠-٦١.

(٢٩) مذكرات سليمان شفيق، ص ٦٤.

سليمان شفيق كمالى استطاع تحصين المدينة بإقامة الخنادق والسدود في منافذ أبها الخارجية حتى أصبحت البلدة عبارة عن قلعة، ولما قامت قوات الإدريسي بالهجوم على أبها لم تجد الأمر سهلا، فظلت تحاصر المدينة حوالى سبعة شهور أكل الجيش العثماني خلالها الهرر والكلاب ونتيجة لتفاقم الموقف حاولت الدولة العثمانية التفاوض مع الإدريسي فأرسلت بعض مندوبيها إليه، غير أن الإدريسي أعرض عنهم ورفض مفاوضتهم(٣٠). واستمرت قواته في حصارها، حتى استطاعوا زحزحة العثمانيين عن بعض مواقعهم، ونتيجة لذلك أرسلت الدولة العثمانية حملة قوية لفك حصار أبها شارك فيها كل من شريف مكة الذى كانت له قرابة خؤولة في عسير، فانخرط الأهالي في سلك طاعته ولم يبق في طاعة الإدريسي سوى قبيلة زهران في شمال عسير(٣١)، ونتيجة لذلك انسحب الإدريسي إلى المرتفعات، وكله تصميم على استخلاص كل مناطق عسير من الأتراك أو إجبارهم على الأقل على الاعتراف بوضعه فيها.

تحالف الإدريسي مع إيطاليا وبريطانيا ضد الدولة العثمانية:

وبعد إعلان الحرب بين إيطاليا والحكومة العثمانية عام ١٣٢٩هـ،١٩١١م بسبب الأطماع الإيطالية في ليبيا استغل الإدريسي الموقف لصالحه، ونجح في تشديد قبضته على المناطق التي تحت سيطرته كما اتفق مع الحكومة الإيطالية على أن يقف بجانبها ضد العثمانيين نظير أن تمده بما يحتاج إليه من المال والذخيرة والعتاد، هذا في الوقت الذى كان يجب عليه مساندة السنوسيين المسلمين في ليبيا خصوصا أن جده كان على اتصال بهم، كما أنه تتلمذ على أيديهم بعض الوقت يضاف إلى ذلك أنه في الوقت الذى انتاب فيه العالم الإسلامي موجة من الحماس لمساندة

(٣٠) نفسه، ص ٦٩.

(٣١) اسماعيل الوشلى: مصدر سابق، ص ٩٥.

المقاومة الليبية ضد العدوان الإيطالي البشع الذى هدد وجود الإسلام ذاته فإن الإدريسي استعان بالأسطول الإيطالى لطعن الدولة العثمانية خلال محنتها. كل ذلك يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي دفعت الإدريسي إلى ذلك.

الواقع أن الإدريسي كان يحاول تثبيت أركان حكمه في المناطق التي يحكمها، ولما كان ذلك لا يستمر إلا بمساندة قوى خارجية فقد استعان بالإيطاليين لتحقيق طموحاته دون أن يفطن لمخاطرهم واستطاع بدعم منهم أن يستحوذ على ميناءي جيزان وميدى(٣٢) ولما استنفذت أغراض الإيطاليين معه تخلوا عنه مما جعله ينتقل إلى الإنجليز، فعقد علاقات صداقة مع الحكومة البريطانية وكان أول حاكم عربى يتحالف مع الإنجليز صراحة وأول من حمل السلاح ضد الدولة العثمانية(٣٣). كما أن السؤال المطروح هنا أيضا هو ما هي مصلحة كل من إيطاليا والإنجليز في التحالف مع الإدريسي ومساندته؟

الواقع أن إيطاليا كانت تتطلع إلى فرض سيادتها على اليمن وعسير، وإحكام قبضتها على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر بعد أن استولت على أريتريا، يضاف إلى ذلك أن عداء كل من الإدريسي وإيطاليا للدولة العثمانية قد جمع بينهما، ومن هنا استفادت إيطاليا من ارتباطها بالإدريسي في زعزعة وإضعاف الموقف العثماني في المفاوضات التي جرت بين العثمانيين والإيطاليين، وأدت إلى استيلاء إيطاليا رسمياً على طرابلس الغرب(٣٤).

أما عن إنجلترا فقد ساندت الإدريسي لاعتقادها بأنه سيكون سنداً لها ضد العثمانيين فيمنعهم من استخدام موانئ البحر الأحمر ويدعم مركزهم في الجنوب.

---

(٣٢) مبارك الحرشنى: المرجع السابق، ص ٤٢.

(٣٣) أمين الريحانى: ملوك العرب، جـ١، ص ٢٩٨، وانظر أيضا:
Hurewitz: J.C: Diplomacy in the Near And Middle East, Vol2, P.12.

(٣٤) مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٤٢.

وهنا يحق لنا أن نتساءل كيف يقف شخص مسلم متديّن مثل الإدريسي بجانب دولة أجنبية مثل إيطاليا سفكت دماء المسلمين في ليبيا واستباحت اعراضهم في الوقت الذى كان يجب عليه مؤازرة الدولة العثمانية التي كانت تقف في موقف المدافع عن العالم الإسلامي؟

لقد برّر الإدريسي موقفه بأن الدولة العثمانية كانت كثيراً ما تنكث عهودها معه، فكثيراً ما اتفقوا معه ثم نقضوا عهودهم كلما واتتهم الفرصة، كما أوضح أن قلة تديّن الأتراك جعل البدو ينفرون منهم(٣٥) هذا إلى جانب رغبته في أن تكون عسير للعسيريين لا للعثمانيين ولا لغيرهم ومن هنا لجأ إلى الأجانب لتخليصه من الأتراك، وهذه الطريقة كثيرا ما كانت تمارسها الكيانات التي لا جذور لها ولا مقومات(٣٦).

ويمكننا أن نضيف إلى جانب ما ذكره الإدريسي أنه بعد أن تولت جمعية الاتحاد والترقي الحكم في الدولة العثمانية، بدأت حركة التتريك التي أساءت كثيراً إلى الولايات غير التركية التابعة للدولة، كما تزايد إهمال شئون العرب، هذا بالإضافة إلى رفض العثمانيين الاعتراف بوضع الإدريسي على النقيض مما فعلوا مع الإمام يحيى الذى تصالحوا معه واعترفوا به يضاف إلى ذلك رغبتهم في القضاء عليه كل ذلك دفعه إلى الانحياز للإيطاليين ثم إلى الإنجليز بعد ذلك. وإذا كان ذلك كذلك فهل كان الرأى العام الإسلامي في منطقة المخلاف السليماني وعسير راضياً عن انضمام الأدارسة للأجانب.

الواقع أن الرأى العام في هذه المنطقة كان غير راض عن هذا التحالف بل كان متعاطفا مع العثمانيين بصفتهم مسلمين(٣٧)، ومن هنا حرص الإدريسي على عدم اظهار علاقته مع البريطانيين والإيطاليين أمام مواطنيه حتى لا يتأثر مركزه الدينى لدى أتباعه نتيجة لاتصاله وتحالفه مع غير

(٣٥) سيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ١٠٠، ١٥٨.
(٣٦) نفس المرجع.
(٣٧) مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٤٢.

المسلمين[٣٨]. ولكن هذه الأمور تغيرت نتيجة لانضمام الدولة العثمانية الى ألمانيا التي كانت تحارب من أجل التوسع الاستعمارى.

وعلى كل حال فقد عظم شأن الإدريسي بعد أن نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وإيطاليا حيث أصبح لديه الكثير من الأسلحة والذخيرة خصوصاً بعد أن أغرق الإيطاليون بواخر خفر السواحل العثمانية، واستولوا على ما فيها من سلاح أعطوا الكثير منه للإدريسي[٣٩].

وهنا أيضاً نتساءل هل كانت كل قوات الإدريسي من رجال المخلاف السليماني أم أنه استعان بقوات أخرى؟

الواقع أنه بعد ان ثقل العبء على رجال قبائل المخلاف السليماني رأى الإدريسي تخفيف الضغط عنهم بالاستعانة بغيرهم من رجال القبائل الأخرى عن طريق إغداق الهدايا والأموال عليهم فنشط في استمالة بعض قبائل عسير، ونجح في ذلك إلى حد كبير لدرجة أنه "استقبل في جيزان مائتي مندوب عن قبائل عسير"[٤٠]. يضاف إلى ذلك أن الإدريسي تمكن من تجنيد قبائل "يام" و "حاشد"، و"بكيل" وعين لهم قائدين من رجال المخلاف هما منصور بن حمود أبو مسمار، وأحمد عبد الله المروانى، كما استعان الإدريسي بجنود مرتزقة من الصومال شكل منهم حرسه الخاص لفترة، ولكن نظرا لعدم تآلفهم مع الأهالي قام بتوزيعهم على المراكز التابعة لها[٤١] وأناط بهم مهمة أعمال الشرطة والحراسة.

وظل الإدريسي يعمل على تدعيم قواته فأعاد تحصين الموانئ التي في حوزته، ووضع فيها المدافع الكبيرة وساعده على ذلك سهولة اتصاله بالقوى

(٣٨) فاروق أباظة: عدن والسياسة البريطانية فى البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦، ص ٦٢١.

(٣٩) سيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ١٨٢.

(٤٠) فاروق أباظة: مرجع سابق، ٦٢٢.

(٤١) نفسه، ص ٥٨٤.

المسيطرة على البحر الأحمر كإيطاليا وبريطانيا كما كان يستفيد من أسراه من العثمانيين، وخاصة ممن كانت لهم خبرة في المدفعية لتدريب جنوده، ورفع كفايتهم الحربية.

فشل المفاوضات بين الإدريسي والدولة العثمانية:

وظل موقف العداء مستحكماً بين الأدارسة والعثمانيين إلى أن أعلنت الدولة العثمانية عن رغبتها في المفاوضات مع الإدريسي فقبل، وفتح باب المفاوضات معهم، ولكنها لم تسفر عن نتيجة إذ كان العثمانيون يرون الاعتراف بوضع الإدريسي الخاص في إمارته، وصرف مرتب شهرى له من الدولة في مقابل أن يقدم الطاعة والولاء للإمام يحيى وأن يتخلى عن تحالفه مع أعداء الدولة في حين كان الإدريسي يتمسك بالمطالب التالية:

١ – الاستقلال الإداري التام لإمارته، مع الاعتراف بسيادة الدولة العثمانية.

٢ – عدم تدخل الدولة العثمانية في شئون موظفيه ورجاله.

٣ – أن يتكون علم الأدارسة من الهلال والنجمة مع كلمة التوحيد من جهة وعبارة محمد رسول الله من الجهة الأخرى.

٤ – أن يكون الجنود من أبناء المنطقة المحليين.

٥ – أن يكون تنظيم الجمارك والمعاهدات التجارية من حق الأدارسة.

٦ – أن تطبق في البلاد أحكام الشريعة الإسلامية، وتكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية فيها.

٧ – أن تكون السكك الحديدية ومصلحة التلغراف وغيرها من المنافع العامة في قبضة الأدارسة وتابعة لأشرافهم.

٨ – أن يصدر بهذا الاتفاق فرمان سلطاني ترسله الأستانة إلى عسير على سفينة حربية وفى يد مندوب عال، ويقرأ في احتفال عام يختار الإدريسي مكانه. هذا إلى جانب بعض البنود الخاصة بالمسائل الفرعية وغيرها[٤٢].

(٤٢) المنار: المجلد ١٦، جـ٦، ص ٤٧٠، وسيد مصطفى سالم، المرجع السابق، ص١٨٥.

وعند تحليلنا لوجهتى نظر كل من الطرفين يتضح الآتي:

- أن الجانب العثماني لم يكن موفقاً في شرطه تقديم الإدريسي الطاعة للأمام يحيى خصوصاً أنه يعلم ما بين الطرفين من مشاكل وصراعات سياسية ومذهبية هذا إلى جانب أن الإدريسي خلال فترة المفاوضات كان نفوذه قد انتشر انتشاراً هائلاً وانتظمت أحواله وتسلحت رجاله.
- أما عن شروط الإدريسي فقد كانت قاسية ومن الصعوبة على الدولة العثمانية قبولها خصوصاً وأنها كانت تخشى أن يظهر في أطراف أركانها المترامية مئات مثل الإدريسي يدعون بأنهم أصحاب حقوق في بقعة ما من الدولة، لذلك كان من الطبيعي أن تفشل المفاوضات وتعود حالة العِداء إلى ما كانت عليه(٤٣).

ومع ذلك فإننا نقدر للإدريسي موقفه في اشتراطه أن تكون اللغة العربية هي لغة التعليم والقضاء والإدارة في الاتصالات مع الأستانة، وفي أن تكون أحكام الشريعة الإسلامية هي الأحكام المطبقة في إمارته، فقد كان الإدريسي في مطالبه هذه جسوراً وموقفه يدعو إلى الإعجاب.

وعلى كل حال فإنه نتيجة للصلح الذى تمَّ بين العثمانيين والإمام يحيى اهتز مركز الإمام أمام عامة اليمنيين في الوقت الذى اشتد فيه نفوذ الأدارسة في منطقة المخلاف السليماني وعسير، ويرجع ذلك إلى ان القبائل اليمنية التي كانت قد اتخذت من الحرب مهنة وعملا لم ترض عن هذا الصلح، والتفت حول الإدريسي الذى استمر على عدائه للعثمانيين وواصل الحرب ضدهم يضاف إلى ذلك أن بعض أتباع الإمام خصوصاً من أفراد قبيلة حاشد التي كانت يعتمد عليها الإمام اعتمادا رئيسيا التفوا حول الإدريسي وبايعوه وأصبحوا من جملة عسكره. كل ذلك شجع الإدريسي على إظهار العداء للعثمانيين ومواصلة الحرب ضدهم(٤٤).

---

(٤٣) نفسه.

(٤٤) فاروق أباظة: الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨ بيروت، دار العودة، ١٩٧٩م، ص ٢٩٥.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى أقامت بريطانيا خطتها تجاه الدولة العثمانية على أساس التحالف مع أعدائها في المنطقة. ومن هنا ركز الإنجليز أنظارهم على الإدريسي مستغلين كراهيته للعثمانيين، فمع أنه لم يكن في استطاعته المشاركة في مجهودات الحرب، ولم تكن له قيمة عسكرية إلا في نطاق حدوده المحلية فقد حاول الإنجليز ضمه إلى صفوفهم خصوصاً أنه كان يستطيع أن يشل حركة القوات العثمانية نظراً لأنه يتحكم في منطقة ساحلية هامة على ساحل البحر الأحمر يمكن عن طريقها وضع القوات العثمانية المرابطة في اليمن بين فكي كماشة أي بين عسير وعدن، كما أنه بامكانه أن يعطل المواصلات العثمانية بين الحجاز واليمن، وأن يهدد العثمانيين إذا ما هاجموا عدن، هذا بالإضافة إلى تمكنه من منع العثمانيين من استخدام سواحل البحر الأحمر قواعد معادية ضد أساطيل الحلفاء في جنوبي البحر الأحمر(٤٥).

ومن هنا رحبت بريطانيا بالتفاوض مع الإدريسي، ورحب الإدريسي من جانبه بالتفاوض مع بريطانيا توطئة للتحالف معهم لمحاربة الأتراك ونتيجة لذلك أصدرت الحكومة البريطانية أوامرها إلى المقيم السياسي البريطاني في عدن تطالبه بسرعة العمل على عقد معاهدة صداقة مع الإدريسي. ونتيجة لذلك دارت المفاوضات بين الطرفين، حاول الإدريسي خلالها الحصول على الاسلحة والأموال من بريطانيا، في حين رغب الإنجليز في التحالف معه لمساندتهم ضد أي محاولة عدائية يقوم بها الإمام يحيى(*).

وانتهت في ٣٠ إبريل ١٩١٥ بمعاهدة يتضح منها معالم السياسة

---

(٤٥) سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس: البحر الاحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ١٩٨٠، مقال للدكتور/ محمد السروجى تحت عنوان "موقف بريطانيا فى البحر الأحمر فى الحرب العالمية الأولى"، ص ٤٩٧، وأيضا جلال يحيى: الثورة العربية: القاهرة، دار المعرفة ١٩٥٩، ص ١٣٠.

(*) Hurewitz, J.C. op.cit, vol 2, p. 12.

البريطانية في منطقة البحر الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى فقد كان جل هدفها محاربة النفوذ العثماني المنافس لها في هذه المنطقة.

وفيما يلي نستعرض ملخصاً لأهم بنود المعاهدة:

١ – إن الأهداف الرئيسية لهذه المعاهدة هي شن الحرب ضد العثمانيين وتعزيز ميثاق الصداقة بين السيد الإدريسي ورجال قبائله وبريطانيا.

٢ – يوافق السيد الإدريسي على أن يشن الهجوم ويحاول طرد العثمانيين من قواعدهم في اليمن، وان يضايق القوات العثمانية في اليمن بأقصى قوته، ومن ثم يوسع رقعة إمارته على حساب العثمانيين.

٣ – إن هدف السيد الإدريسي الأول ضد العثمانيين فحسب ولا يمس ما يثير الخصومة والعداء مع الإمام يحيى الذى لم يمد يده فعلا للعثمانيين.

٤ – تلتزم الحكومة البريطانية بحماية إمارة السيد الإدريسي ضد أي هجوم بحري يشنه أي عدو لضمان الاستقلال بإمارته، وتتعهد بريطانيا بأن تتخذ جميع الوسائل الدبلوماسية للنظر في المشاكل التي تنشأ بين السيد الإدريسي والإمام يحيى وبين أي منافس.

٥ – ليست لدى حكومة بريطانيا اي رغبة في توسيع حدودها في غرب الجزيرة العربية، ولكنها لا ترغب إلا أن ترى مختلف حكام العرب يعيشون معاً في سلام، كل في نطاق إمارته، ولكنهم يحتفظون بصداقة الحكومة البريطانية.

٦ – إن الحكومة دلالة منها على تقدير العمل الذى سيقوم به السيد الإدريسي أمدته بالمال والمعدات الحربية، وستستمر في تقديم العون له في الحرب طيلة مدة اشتراكها بقدر النشاط الذى يقوم به السيد الإدريسي.

٧ – إنه في الوقت الذى تفرض فيه بريطانيا الحصار على الملاحة في جميع الموانئ العثمانية في البحر الأحمر منذ عدة أشهر فقد أعطت السيد الإدريسي الحرية الكاملة في الملاحة والتعامل التجاري بين موانئه وعدن،

وإن بريطانيا إذ تقدم هذا الامتياز رمزا للصداقة القائمة بينهما تتعهد بأن هذا الامتياز سيستمر ولن يتعرض للتوقف[٤٦].

وهكذا اتفقت بريطانيا مع الإدريسي على محاربة العثمانيين واستنفاد قوتهم، ومنعهم من استخدام الموانئ اليمنية ضد مصالح بريطانيا في مقابل أن تتعهد بريطانيا بمساعدته عسكرياً ومادياً حتى يستطيع المحافظة على بلاده كما تسمح لسفنه بالمرور في البحر الأحمر والاتجار مع ميناء عدن[٤٧]، وبموجب هذه المعاهدة أمدت بريطانيا الإدريسي بكميات كبيرة من الأسلحة والذخائر، ونظراً لأن الأدارسة كانوا يفضلون استعمال الاسلحة التي كانت إيطاليا قد أمدتهم بها من قبل لخبرتهم بها وقدرتهم على استعمالها[٤٨] فقد طالب الإدريسي بريطانيا إمداده بكميات من الذخيرة التي يمكن استخدامها بواسطة البنادق الإيطالية مما أوقع الإنجليز في مأزق خصوصاً بعد أن أعربت إيطاليا عن عدم قدرتها على توفير مثل هذه الذخيرة ولهذا قامت بريطانيا بالاتصالات اللازمة مع الحكومة الفرنسية لإجابة مطالب الإدريسي وتزويده بالأسلحة والذخائر اللازمة لقواته[٤٩].

ونتيجة لتسليح الأدارسة بالذخائر المناسبة قاموا في مايو ١٩١٥ بمهاجمة "اللحية" تحت قيادة مصطفى ابن عبد المتعال الإدريسي الذى قسم جيشه إلى قسمين قسم برئاسة أحمد الحازمي وتوجه بمحاذاة الساحل إلى ميناء اللحية، والقسم الآخر وكان يقوده الحسن بن أحمد بن مسمار وتوجه إلى "دير حسين".

---

(٤٦) محمد بن احمد العقيلى: تاريخ المخلاف السليمانى، ج٢، ص ٧٣٣-٧٣٤، نقلا عن جريدة عكاظ، العدد ٣ بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٢٤.

(٤٧) فاروق اباظة: مرجع سابق، ص ٥٨١، والمقتطف: المجلد التاسع والخمسون، ج٣، سبتمبر ١٩٢١، ص ٢٦٧، تحت عنوان "بريطانيا العظمى والعرب".

(٤٨) Jacob, H.F: Kings of Arbia. London, 1923, P. 176.

(٤٩) فاروق أباظة: مرجع سابق، ص ٦٢٤.

ونظراً لعدم قدرة جيش الأدارسة على اقتحام ميناء اللحية قام الأسطول البريطاني بضرب هذا الميناء من البحر تأكيداً من بريطانيا لمساعدتها للإدريسي[٥٠]، وبذلك تمكن الأدارسة من الاستيلاء على ميناء اللحية واتخذوه مركزاً لقيادتهم كما نجح الحسن بن مسمار في الاستيلاء على "دير حسين" ولكن ذلك لم يستمر طويلاً حيث ثارت حفائظ العثمانيين على الإدريسي واستطاعوا التقدم إلى معسكر الأدارسة في "دير حسين" والاستيلاء على ما فيه من أسلحة وذخائر[٥١] كما استطاعوا الاستيلاء على معسكر "العطن" واستعادة ميناء "اللحية" مما دفع قائد الأدارسة إلى الالتجاء للأسطول البريطاني الذي صبَّ نيران مدافعه على ميناء اللحية للمرة الثانية فاضطر العثمانيون إلى إخلائها[٥٢].

ولكي تؤكد بريطانيا تحالفها مع الإدريسي عقدت معه معاهدة ثانية في ٢٢ يناير ١٩١٧م؛ جددت فيها المعاهدة السابقة، كما اعترفت له بالسيادة على تهامة حتى اللحية في الجنوب، والقنفذة في الشمال[٥٣]، هذا بالإضافة إلى اعترافها باستيلاء الإدريسي على جزر فراسان[٥٤] من العثمانيين وبأنها أصبحت جزءاً من ممتلكاته وتعهدت بحمايته من أي اعتداء خارجي، وتعهد هو بعدم إقامة علاقات سياسية او تجارية مع أي حكومة أجنبية قبل الرجوع إلى بريطانيا.

ومن هذه المعاهدة يتضح أن بريطانيا كانت تعتبر الإدريسي حليفاً لها ولم تعتبره أميراً خاضعاً لحمايتها ويؤكد ذلك اعترافها باستقلاله في جميع ممتلكاته[٥٥] وإلى جانب ذلك فمن الواضح أن الإنجليز زادوا في إرضاء

(٥٠) نفسه، ص ٥٨١.
(٥١) محمد بن احمد العقيلى: المصدر السابق، ص ٧٢٩.
(٥٢) نفسه، ٧٣٠.
(٥٣) بلده على بعد ٢٠٠ ميلا إلى جنوب جده.
(٥٤) تبعد عن جيزان ستين ميلا بحريا، طولها ١٠٠ كم وعرضها ٣٠ كم.
(٥٥) فاروق اباظة: مرجع سابق، ص ٥٨٥.

الإدريسي بحسم نقطة الخلاف الدائرة بينه وبين الشريف حسين شريف مكة بشأن قنفذة لصالحه خاصة وأن قوته تتمركز على الساحل وأن مصالحه تتأثر مباشرة بقوة البحرية البريطانية في البحر الأحمر.

وهكذا استفاد الإدريسي من تحالفه مع الإنجليز إستفادة عسكرية واقتصادية كبيرة فحصل منهم على أحدث الأسلحة والذخائر اللازمة لإبعاد العثمانيين عن بلاده، كما استفادت بلاده اقتصادياً حيث تمتعت بنوع من الرخاء الاقتصادي، وذلك بفتح أبواب التجارة أمامها فقد ظلت موانيه مفتوحة في وقت حوصرت فيه موانئ اليمن مما مكّنه من التحكم في السلع التجارية وأسعارها كما تخلص من الاختناق الاقتصادي الذي شعر به سكان المناطق المجاورة وكان ذلك خدمة هامة اتضح أثرها خلال الحرب إذ كانت موانيه هي الموانئ الوحيدة المفتوحة في وقت كان الحصار البريطاني البحري للمناطق اليمنية يكاد يفتك بالحركة التجارية بها ويهدد بقيام المجاعات(٥٦). وقد عبّر عن ذلك أحد شهود العيان بقوله "انقطعت البواخر البحرية وعظم الحرب، ودخلت سنة ١٣٣٣ هـ/ ١٩١٤م،واشتدت الحرب العظمى وامتنعت القطارات والبواخر البحرية وأصاب الناس ضرر شديد بسبب ذلك"(٥٧).

ولقد كان من النتائج المترتبة على هذا الحصار عدم قدرة الإمام يحيى على دفع المرتبات الشهرية للقبائل الموالية له، مما جعل العديد من رجالها يفضلون ترك خدمة الإمام والانضمام إلى الأدارسة ويؤكد ذلك ما ذكره الوشلى بأنه بعد أن جاءت هذه القبائل "إلى الإمام وطلبوا منه تسليم مرتبهم الشهرى اعتذر لهم.. لانقطاع النازل البحري بسبب المحاصرة.. فنزلوا إلى الإدريسي ليكونوا من جملة عسكره ويصلوا إلى مقصودهم من الكفاية فاجتمع عنده منهم ما ينيف على عشرة آلاف مقاتل، فرتب لكل واحد

(٥٦) سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ٢١٣.

(٥٧) عبد الواسع بن يحيى الواسعى: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن. القاهرة، الطبعة الثانية، ص ٣٢٩-٣٣٠.

منهم سبعة عشر ريالاً شهرياً.. وأمرهم بالتوجه إلى اليمن لقتال الدولة العثمانية "(٥٨).

وعلى كل حال فبانتهاء الحرب العالمية الأولى إنهار الحكم العثماني تماماً واشتد ساعد الإدريسي حيث تمَّ إستسلام القوات العثمانية في اليمن أمام الإنجليز، وقام البريطانيون بتسليم ميناء الحديدة – التي تعتبر بوابة صنعاء إلى العالم الخارجى(٥٩). – إلى الإدريسي في عام ١٣٤٠هـ–١٩٢١م مما جعل صنعاء تنفصل عن البحر، وساعد على اشتداد النزاع المسلح بين اتباع الإمام يحيى والأدارسة. والسؤال الآن هو هل كان من حق بريطانيا تسليم ميناء الحديدة للأدارسة، وهل استطاع الأدارسة إدارة هذا الميناء كما ينبغى؟

الواقع أن البريطانيين وجدوا أن من مصلحتهم تسليم الحديدة للإدريسي في محاولة منهم للضغط على الإمام يحيى حتى يقلل من تأييده للعثمانيين فسلموها له على كره من أهلها، كما أن ما فعلوه كان تدخلاً ذريعاً في مسألة توزيع الأراضي والحدود بين الحكام المحليين المتنافسين مما أثار ثائرة الإمام يحيى(٦٠) لحرمان بلاده من منفذ طبيعي وضروري لمناطق زراعة البن اليمني، كما أنها منفذاً طبيعياً لمدن تهامة الأخرى والميناء الطبيعي لصنعاء إلا أن الإدريسي فشل في إدارة هذا الميناء بعد أن ولَّى عليه إبن عمه مصطفى الإدريسي الذي اشتاط الأهالي غضباً من تصرفاته خصوصاً لفرضه المكوس الباهظة على التجارة، واستبداده بالسكان مما جعلهم يفضلون الهجرة إلى عدن على الرغم من أن الأدارسة قاوموا هذه

(٥٨) الوشلى: مصدر سابق، ص ١٧٧.

(٥٩) جون بالدرى: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن أبان الحكم التركى ١٩١٤-١٩١٩، ترجمة سيد مصطفى سالم، القاهرة، المطبعة الفنية، ص ١٣٤.

(٦٠) فاروق أباظة: مرجع سابق، ص ٦٦٣.

الهجرة، وقبضوا على العديد من التجار المهاجرين[٦١] وقامت بأسرهم في ميناء "ميدى"[٦٢]

وعلى كل حال فإنه نتيجة لهزيمة ألمانيا وحليفتها الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى فرض الحلفاء شروطهم على العثمانيين والتي كان منها اقتطاع البلاد العربية عنهم، وتقسيمها إلى عدة دويلات ونتيجة لذلك انسحب المتصرف العثماني من عسير، وسلم إدارتها إلى آل عائض الذى نجح الإدريسي في استمالتهم إليه، وضمهم تحت لوائه، فدخلت عسير تحت السيادة الإدريسية نتيجة لاتفاقية صبيا، والتي اتفق بمقتضاها على أن تدخل عسير في حماية الأدارسة، وأن يكون حسن بن عائض نائباً على إمارة عسير من قبل الدولة الإدريسية على أن يرافقه في إدارة هذه الإمارة مندوباً سامياً من قبل الإدريسي وهو إبراهيم الشوكاني في مقابل أن يدفع الأدارسة مبلغ خمسة آلاف ريال لآل عائض مرتباً شهرياً لرؤساء قبائل عسير.

واستمرت الأمور على هذا المنوال حتى نهاية عام ١٣٣٧هـ/١٩١٨م وبعدها بدأ حسن بن عائض يتمرد على سيادة الأدارسة على بلاده، ويناوئ مندوبهم في عسير، كما امتنع عن إرسال الزكاة المقررة على أهالى عسير إلى الإدريسي، وأمر بصرفها على رؤساء قبائل عسير بوصفها مقررات سنوية لهم، وبالرغم من ذلك فقد اتبع الإدريسي سياسة الملاينة مع آل عائض في أول الأمر خشية أن يفلت الزمام من يده ولما أصر آل عائض على معارضتهم للسيادة الإدريسية، وتنصلهم من اتفاقية صبيا رأى محمد الإدريسي استعمال سياسة الضغط معهم حتى يغيروا من موقفهم فقطع المواصلات مع عسير، وحاصرها اقتصادياً ولما لم يجد في ذلك نفعاً تشجع آل عائض على الثورة ضدهم والخروج على طاعتهم، ونتيجة لذلك جهز

---

(٦١) سيد مصطفى سالم: مرجع سابق، ص ٢٦٢. وفاروق اباظة: الحكم العثمانى لليمن، ص ٦١.

(٦٢) Jacob, H.F: Kings of Arabia, P. 249.

الإدريسي جيشاً بقيادة حمود سرداب لدخول عسير وإخضاعها بالقوة، ولما تقدم الجيش الإدريسي في مركز الشعبين بطريق وادي العوص والعقبة (الصماء) وجد رجال عسير في انتظاره، وعلى أهبة الاستعداد، وحدثت معركة انتهت بانتصار العسيريين، وتراجع الجيش الإدريسي(٦٣) هذا في الوقت الذى كان فيه إمام اليمن قد بدأ يتحرش بالأدارسة بعد استيلائهم على الحديدة خصوصاً أنه أحس بانقلاب موازين القوى في غير صالحه، ففي حين كان يطمع في توسيع رقعة مملكته بعد خروج الأتراك من بلاده، وذلك بالاستيلاء على أجزاء واسعة من أملاك الأدارسة أو القضاء عليهم نهائياً وجد الإنجليز يسلمون الإدريسي ميناء الحديدة، مما أثار ثائرته، وجعله يشعل نيران الحرب مع الأدارسة.

وإلى جانب هذا وذاك كان الهاشميون يروجون دعايتهم السياسية في منطقة المخلاف السليماني وعسير بهدف توطيد نفوذهم فيها والتخلص من نفوذ الأدارسة(٦٤)، كما كان الشريف حسين يعد لترتيب قيام ثورة عربية كبرى ضد العثمانيين مما جعل بريطانيا تحاول التوفيق بينه وبين الإدريسي وخلال ذلك الوقت العصيب بالنسبة للأدارسة توفي السيد محمد الإدريسي في يوم الثلاثاء الثالث من شعبان ١٣٤١هـ/الموافق أوائل عام ١٩٢٣م وقبل أن ننتقل إلى خلفاء الإدريسي ينبغى لنا أن نذكر أن محمد الإدريسي كان وبحق المؤسس الفعلي لإمارة الأدارسة في منطقة المخلاف السليماني.

لقد قال عنه البعض أنه استعمل الفسفور والكهرباء بقصد إقناع الأهالي بولايته، واتهمه البعض الآخر بادعاء المهدية والوقوف بجانب أعداء الإسلام، ومع ذلك فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه استطاع بما يتمتع به من ذكاء وعلم وحنكة سياسية وقوة إرادة أن يحافظ على الأمن في امارته

(٦٣) محمد بن احمد العقيلى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٣٨-٧٤٠.

(٦٤) خديجة احمد على: العلاقات اليمنية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٨٣، ص ٥١.

ويوقف المنازعات المستمرة بين القبائل ويقنع الناس باتباع قواعد الدين، كما لا يستطيع أحد أن ينكر أنه وقف ضد العثمانيين بعد أن رأى منهم عدم الاهتمام بالمصالح العربية والإسلامية ومحاولتهم إضفاء حركة التتريك على العرب، وترك بلادهم تموج بالمظالم وتعج بالفتن.

هذا عن رأينا في دور السيد/ محمد الإدريسي أما عن خلفائه فيمكننا القول أنه بعد وفاة الإدريسي انعقدت البيعات الخاصة والعامة لولده "الأمير علي" من أهل الحل والعقد بجهات صبيا وما والاها، ولكن نظرا لصغر سن هذا الأمير، وقلة خبرته لم يستطع تسيير دفة الأمور فحدثت منازعات بينه وبين وزراء والده الذين أصبح لا يطمئن اليهم، ويشك في نواياهم كما قام عمه الحسن بمنازعته على ملك الأدارسة، هذا بالإضافة إلى مجاهرة ابن عم والده مصطفى الإدريسي برغبته في الإطاحة به حيث كان يرى انه أولى بتولي حكم الأدارسة منه(٦٥).

كل ذلك جعل الأمر يفلت من الأمير علي وجعل إمارة الأدارسة تمر في أدوار الاضطراب الداخلي فقامت الحرب الأهلية بين أفراد هذه الأسرة في عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م وكان من نتيجتها تفكك الإمارة الإدريسية، وتقسيمها إلى قسمين قسم تحت حكم الأمير علي والآخر سيطر عليه عمه الذى جعل من مدينة الزيدية مقراً لملكه(٦٦) وقام بجمع الجيوش وتعبئتها للتخلص من ابن أخيه.

وفى محاولة لإصلاح ذات البين بين الطرفين قام أحد السنوسيين بالوساطة، ونظرا لتمسك الأمير على برفض المصالحة فقد رأى السنوسى خلعه من الإمامة وإقامة عمه الحسن مكانه، وإزاء ذلك لم يجد الأمير على بداً من ترك العاصمة صبيا والاتجاه إلى جيزان حيث جعل منها مقرا لاقامته،

(٦٥) مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٦٢.
(٦٦) الوشلى: مصدر سابق، ص ٢٢٥، ٢٣٨.

نظرا لوجود حامية عسكرية قوية تابعة له في منطقة الحفاير، ونتيجة لذلك انتقل جهاز السلطة الحاكمة من صبيا إلى جيزان، وفي إجراء وقائي له قام بعزل الكثيرين من مساعديه الذى عاونوا والده، وأخذ يستعين بعناصر جديدة من الموالين له بالرغم من قصور خبرتهم السياسية والإدارية(٦٧).

ونتيجة لاضطراب الأمور في الإمارة الإدريسية بدأ الإمام يحيى في استغلال هذه الفرصة، فأخذ في بسط سيطرته على الأراضى اليمنية التي كانت تحت حكم العثمانيين وأن يحصر الأدارسة في الجزء الشمالى من عسير فقط، كما أرسل قواته التي تزيد عن خمسين ألف مقاتل للاستيلاء على كل ما يقابلها من بلاد الأدارسة ونتيجة لتدهور الأمور وعدم قدرة الأمير على مواجهة الموقف تم خلعه ومبايعة عمه الحسن اميراً على تهامة وعسير في عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م. وخلال ذلك الوقت كان الملك عبد العزيز آل سعود قد أرسل وفدا من قبله مؤلفا من ابن عسكر، ومحمد بن دليم ومصطفى النعمى، وعبد الرحمن ظافر النعمى، وعبد الوهاب أبو ملحة للاطلاع على حقائق الأمور، ومحاولة التوفيق بين أفراد الأسرة الإدريسية(٦٨).

وما إن وصل الوفد إلى منطقة النزاع حتى كان الحسن الإدريسي قد رجحت كفته وأزاح ابن أخيه وأجبره على التنازل له عن الإمامة، والفرار إلى عدن.

ونظراً لاستمرار الإمام يحيى في توسعه داخل إمارة الأدارسة تحمل الحسن الإدريسي عبء الكفاح، وأخذ يستنهض الهمم لمقاومة القوات الغازية(٦٩) ووضع حد لتقدمها ولكنه لم يستطع فقد استولى الإمام يحيى

(٦٧) مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ٦٢-٦٣.

(٦٨) محمد بن احمد العقيلى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٦٠.

(٦٩) احمد طربين: الوحدة العربية ١٩١٦-١٩٤٥، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩، ص ١٣٩، وايضا امين الريحانى: مرجع سابق، ج١، ص ٣٠٢.

على معظم منطقة تهامة الجنوبية كما بدأ يهدد النصف الشمالي الآخر منها. وعندما رأى الحسن الإدريسي ان القوات اليمنية تزحف منتصرة على الأدارسة لتلتهم ما تبقى من إمارتهم عرض على الإمام يحيى سحب القوات الغازية والاعتراف باستقلاله الداخلي على ان يعترف له بالسيادة على إمارته، ولما رفض الإمام يحيى ذلك واستمرت قواته في مواصلة زحفها طلب الحسن الإدريسي من الزعيم الإسلامي أحمد الشريف السنوسي الذى كان في زيارة لمنطقة "صبيا" المشورة فأشار عليه "أن من الخير له أن يتجه إلى الملك عبد العزيز آل سعود ويرتبط بمعاهدة صداقة وحماية معه، فرجح الحسن ذلك وانتدبه لتلك المهمة فتوجه إلى الحجاز"[٧٠] وباشر مهمته من أجل تحقيق فكرة التوسط لدى السعوديين بشأن ضرورة مساندتهم للإمارة الإدريسية، نظراً للصداقة القديمة بينهما. كما توجه وفد آخر إلى الرياض صاحبة العلاقات التاريخية بالمخلاف وعسير للاتفاق حول تأمين منطقة المخلاف ضد الأطماع الموجهة إليها[٧١]، واتخاذ التدابير اللازمة لرد كيد الطامعين وإزاء سوء الأحوال التي أخذت بلاد الأدارسة تتردى فيها، وحالة الفوضى التي كانت سائدة هناك فقد لقيت وساطة الإدريسي ترحيباً من الملك عبد العزيز.

الإدارة الإدريسية من خلال الإشراف السعودي:

وعلى إثر ذلك عقدت معاهدة مكة بين الملك عبد العزيز والسيد/ الحسن الإدريسي في ١٤ ربيع الثانى ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ اكتوبر ١٩٢٦[٧٢] وبمقتضاها تنازل الحسن عن إدارة كافة شئون إمارته للملك عبد

(٧٠) محمد بن احمد العقيلى: مرجع سابق، ج٢، ص ٧٦٠.

(٧١) Toynbee: Op.Cit, P. 323.

(٧٢) امين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، ج٢، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ص ٩٥.

العزيز الذى نصبه حاكما عليها من قبله، طيلة حياته كما كفلت ذلك لمن يخلفه ممن يتفق عليه الادراسة وتم تشكيل مجلس شورى لمساعدته ينتخب رجاله من أهل الحل والعقد على أن تكون الأحكام والحدود الصادرة منه طبقاً للشرع الشريف(٧٣). كما نصت على أن يتمتع الحسن الإدريسي بكل حقوق الزعامة المحلية كالإشراف على شئون القبائل وتعيين وفصل الموظفين والإشراف على أدائهم على أن تتم ممارسة ذلك في ظل الشرعية وبمعونة الملك عبد العزيز اتخذ السيد/ الحسن بلدة أبو عريش عاصمة له يقوم فيها بإدارة شئون إمارته الداخلية في حين يقوم الملك عبد العزيز بإدارة شئون الإمارة الخارجية ويضمن سلامة حدودها حيث أصبح بعد توقيع المعاهدة مسئولا عن الدفاع وصد أي عدوان داخلى أو خارجى تتعرض له الإمارة الإدريسية.

ولكي تتضح الأمور أمام الإمام يحيى أرسل الملك عبد العزيز إليه نسخة من معاهدة مكة للتصديق عليها، والكف عن مهاجمة إمارة الأدارسة التي أصبحت تحت حمايته، وكانت المفاجئة عنيفة بالنسبة للامام فإما أن يقر المعاهدة ويعترف بها، وإما أن يرفضها، ويصطدم بالقوات السعودية، وتكون الأمور غير محمودة العواقب وقد جنح الإمام يحيى إلى السلم فأجاب على رسالة الملك عبد العزيز ببرقية تتضمن الموافقة ثم أمر قائده بإيقاف الحرب مع الأدارسة والاستجابة إلى دعوة الملك عبد العزيز إلى المؤتمر الإسلامي في مكة الذى انعقد في عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م فأرسل وفدا إلى المؤتمر كانت مهمته التفاوض بشأن تحديد الحدود بين البلدين الشقيقين، وعقد معاهدة تنظم العلاقة بينهما، وقد عاد الوفد يحمل مقترحات الاتفاق إلى الإمام فلم تنل من جانبه قبولا، ونتيجة لذلك تعددت الرسل والوفود بين

(٧٣) جورج انطونيوس: مرجع سابق، ص ٣٧٢، حافظ وهبه: مرجع سابق، ص ٢٨.

الرياض وصنعاء لتسوية الأمور، وسافر مندوبو البلدين إلى عسير لدراسة الموقف والاتفاق على حل نهائى(٧٤).

وخلال ذلك رأى الملك عبد العزيز ضرورة ربط شئون إمارة الأدارسة الإدارية بدولته، فأرسل صالح بن عبد الواحد كمندوباً من طرفه للإقامة في جيزان لمعاونة الحسن الإدريسي في تنظيم شئون الإمارة، ومتابعة ما يمكن استحداثه من نظم مالية وإدارية لتحقيق الانضباط والاستقرار والأمن، وضبط وسائل التحصيل لموارد الإمارة المتمثلة في الزكاة والجمارك(٧٥) ولما كان وجود هذا المندوب لم يجد ارتياحا لدى الحسن الإدريسي فقد أمر الملك عبد العزيز باستبدال مندوب آخر به هو عبد الله بن خثلان(٧٦) كما عينت الإدارة السعودية إلى جواره بعض الإداريين لمساعدته في ضبط الأمور مما نتج عنه ازدواجية في الولاء فكان هؤلاء يتلقون تعليماتهم من المندوب السعودى دون اللجوء إلى الحسن الإدريسي الذى أعرب عن ضيقه من ذلك.

ونتيجة لتردي أحوال الإمارة المالية والإدارية تم التوصل إلى الاتفاق على ضرورة إسناد إدارة شئونها المالية والإدارية إلى الحكومة السعودية، وقد أرسل الحسن الإدريسي برقية بذلك إلى الملك عبد العزيز كما أرسلت هيئة مجلس الشورى الإدريسي ببرقية مماثلة(٧٧). مما دفع الحكومة السعودية أن تأخذ على عاتقها إدارة كافة شئون الإمارة وتقديم المساعدات الإدارية والمالية لها بما يحفظ لها أمنها واستقرارها واستقر الأمر بأن يظل

(٧٤) المقتطف: المجلد الرابع والثمانون، الجزء الخامس ١٩٣٤، مقال للاستاذ امين سعيد تحت عنوان "دولة اليمن ودولة آل سعود" بحث تاريخى فى نشأتهما وتطورهما، ص ٦٠٤.

(٧٥) أمين سعيد: تاريخ المملكة العربية السعودية: المجلد الثانى، ص ١٩٣.

(٧٦) مبارك الحرشنى: مرجع سابق، ص ١٣٤.

(٧٧) وزارة الخارجية السعودية: مجموعة المعاهدات ١٣٤٢-١٣٦٣هـ/١٩٢٢-١٩٤٤م، مكة المكرمة، مطبعة الحكومة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، ص ٦٧ وما بعدها.

الحسن الإدريسي على رأس إمارته بمنزلة قائمقام على أن تصدر الأوامر باسمه بالنيابة عن الملك عبد العزيز، وأن يتم تعيين أمير من قبل الملك لأجل إدارة شئون الإمارة والإشراف على تأمين الأمن والنظام فيها كما يتم تعيين مسئول مالى لتنظيم جباية الأموال الأميرية وإنفاقها في المصالح العامة. وبناء على ذلك أصبحت الإمارة الإدريسية تابعة من الوجهة الإدارية للحكومة السعودية، وعين الملك عبد العزيز "فهد بن زعير" أميرا للمقاطعة في أواخر عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م وقد انتقلت السلطات الإدارية من صبيا إلى جيزان التي أصبحت مقرا رسميا للمندوب السعودى(٧٨).

وفي محاولة من الحكومة السعودية لضبط الأمور والسيطرة على زمام الموقف تم إرسال موظفين سعوديين لإدارة الجمارك والمالية والأمن في منطقة جيزان وألا يقوم الحسن الإدريسي بعمل أي اتصالات مع أي دول خارجية دون الرجوع إلى الملك عبد العزيز.

وعندما نقلت أجهزة البرق هذا النبأ إلى العالم الخارجي كانت هناك مباحثات دائرة في روما بشأن المصالح البريطانية والإيطالية في منطقة البحر الأحمر، وكانت إيطاليا تطالب بعسير وقبل أن تتفق الدولتان على تقسيم منطقة البحر الأحمر كانت منطقة المخلاف السليماني وعسير قد دخلت ضمن السيادة السعودية.

ضم الإمارة الإدريسية إلى الدولة السعودية:

الواقع أن أهالي المنطقة كانوا في معظمهم من المعتنقين للمذهب السلفي الذى تأصلت جذوره في نفوسهم، ومن هنا كانوا يحملون في صميم قلوبهم أصدق الولاء والإكبار لآل سعود، يسيرون تحت لوائهم ودائماً ما يلجأون إليهم في حل مشاكلهم(٧٩). وبالرغم من ذلك، ومع أن زعماء العديد من القبائل كانوا قد أرسلوا توقيعاتهم إلى الملك عبد العزيز بما يتضمن

(٧٨) الحرشنى: مرجع سابق، ص ١٤٣، والمقطم فى ١٩٣٢/١٢/٢٢.

(٧٩) احمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، ج٢، ص ٣٣٣.

الموافقة على انضمام بلادهم إلى مملكته، وبالرغم من ان الحكومة السعودية كانت قد أمرت موظفيها بأن يلاحظوا منزلة السيد/ الحسن الإدريسي ومكانته ويحافظوا على هيبته وكرامته هو وعائلته[٨٠]. فإن السيد/ الحسن لم يلبث أن حاول التخلي، عما اتفق عليه والانقضاض على الحكم السعودي فتقدم في صيف ١٣٥١هـ/١٩٣٢م معلناً عصيانه وتمرده واعتقال "فهد بن زعير" مندوب الملك عبد العزيز في الإمارة، وتمكن من احتلال بلدتي "أبو عريش" و"جيزان"[٨١] ولكن ذلك الموقف لم يستمر سوى ثلاثة أيام حيث أعلن الملك عبد العزيز ضم الإمارة الإدريسية للدولة السعودية وأرسل الامدادات العسكرية السعودية إلى هناك حيث دارت معارك بين فلول الأدارسة والقوات السعودية، تمكنت فيها القوات السعودية من استعادة زمام الأمور، واستطاعت القضاء على الفتنة خاصة بعد أن أصدر الملك عبد العزيز عفواً عاماً عن القبائل المشاركة في التمرد مما اضطر الإدريسي إلى الفرار هو وعائلته إلى "حرض" طالباً اللجوء السياسي، فزين له الإمام يحيى إمكانية البقاء وأمر باقامته في مركز "ذهب حجر" بمقاطعة حرض.

ونظراً لخطورة ذلك الموقف طلب الملك عبد العزيز من الإمام يحيى إعادة الأدارسة الفارين إليه عملا بالاتفاقات المعقودة بينهما[٨٢] وحفاظاً على السلام بين البلدين، ومن أجل ذلك دارت عدة مفاوضات طلب خلالها الإمام يحيى العفو عن الأدارسة اللاجئين إليه. وعن كل ما حدث منهم حيث إنهم استجاروا به، وقد وافق الملك عبد العزيز على طلب الإمام يحيى حفاظاً على حسن الجوار بين بلديهما فأرسل برقية إليه قال فيها: "إن جميع من إلتجأ إليكم له أمان الله على ماله ودمه، وإنه عفو شامل عن جميع ما مضى

(٨٠) المساء فى ١٩ رجب ١٣٤٩هـ (١٠ ديسمبر ١٩٣٠م) تحت عنوان "ابن السعود وعسير".

(٨١) أحمد طربين: المرجع السابق، ص ١٤١.

(٨٢) كانت معاهدة العرو التى عقدت بين الجانبين السعودى واليمنى تقضى على الامام بتسليم الادارسة الفارين إليه.

وحدث في هذه الفتنة الشيطانية سواء في حقوق الحكومة أو حقوق الاهلين وأن جميع من أعطيتموه الامان والمكان فهو تام على وجهه ما يحذرون شيئاً سواء في ذلك الحسن وآله وغيره من الرعية"(٨٣).

وقد أجاب الإمام يحيى على برقية الملك عبد العزيز ببرقية طلب فيها أن يحرر للسيد/ الحسن عفواً وأماناً خاصاً به وقد رد عليه الملك شاكراً له سعيه للإصلاح وقال: "إنه يعطي أمان الله وعهده للحسن ومن تبعه على دمه وشرفه وإن جميع ما فات منه لا يعاقب عليه، وإنه سيكون أخاً عزيزاً له"(٨٤) بشرط أن يكون هناك ضمان بحسن تصرفاته. كما وافق الملك عبد العزيز على أن يدفع مرتباً شهرياً للإدريسي.

ونتيجة لتوسط الإمام يحيى وافق الملك عبد العزيز على عقد مؤتمر في "ميدى" يحضره السيد/ الحسن ورجاله ومندوب من قبل الملك عبد العزيز ومندوب من قبل الإمام يحيى لتسوية الأمور المتعلقة. وقد عقد هذا المؤتمر في أواخر شوال ١٣٥١هـ/١٩٣٢م واستمر شهرين وانفض دون نتيجة.

وحرصاً من الملك عبد العزيز على المحافظة على الأخوة الإسلامية بين مملكته ومملكة اليمن، وعدم إثارة مشاكل على الحدود بينهما طلب عقد معاهدة لتثبيت الحدود بين البلدين، وانتهى الأمر بعقد معاهدة الطائف في ٦ صفر ١٣٥٣هـ (٢٠ مايو ١٩٣٤م) وفيها اعترف كل من البلدين باستقلال البلد الآخر. وسيادته التامة على أراضيه، كما اتفق على تسليم الأدارسة الفارين إلى اليمن للسلطات السعودية حيث تتم اقامتهم في مكة المكرمة(٨٥).

---

(٨٣) المقتطف: مقال سابق ذكره، ص ٦٠٥.

(٨٤) المقتطف: مقال سابق.

(٨٥) عن تفاصيل معاهدة الصداقة الاسلامية والاخاء العربى بين المملكة المتوكيلة اليمنية والمملكة العربية السعودية فى ٢٠ مايو ١٩٣٤م، انظر:
محمد فؤاد شكرى وآخران: نصوص ووثائق فى التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، الانجلو المصرية، ص ٤٨٨-٤٩٠,٨٥)

ونتيجة ذلك انتهت عملية التوتر القائمة بين البلدين وغربت شمس الأدارسة، وأصبحت منطقة المخلاف السليماني وعسير جزءاً في جسد الوطن السعودى، كما شملتها الإصلاحات والمشروعات العمرانية التي يشهد بها كل من يزور المنطقة الجنوبية من المملكة أو يطرق بابها.

المصادر والمراجع

أولا: وثائق منشورة:

- وزارة الخارجية السعودية: مجموعة المعاهدات ١٣٤١هـ-١٣٦٣هـ/ ١٩٢٢-١٩٤٤م مكة المكرمة، مطبعة الحكومة، ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م.
- Hurewitr, J.C: Diplamacy in the Near and Middle East, 2 Vols, New York, 1956.

ثانيا: المصادر والمراجع العربية:

- أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبرالتاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
- أحمد طربين: الوحدة العربية بين ١٩١٦-١٩٤٥، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩.
- أحمد عبد الغفور عطار. صقر الجزيرة، ج٢، جدة ١٣٨٤هـ.
- إسماعيل بن محمد الوشلى التهامى: من تأريخ اليمن الحديث: "ذيل" نشر الثناء الحسن المنبئ ببعض حوادث الزمن من الغرائب الواقعة في اليمن، تحقيق محمد الشعيبى، صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- أمين الريحانى: ملوك العرب، جـ١، بيروت ١٩٥١م.
- أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، جـ٢، الرياض، دارة الملك عبد العزيز.
- جلال يحيى: الثورة العربية، القاهرة، دار المعرفة ١٩٥٩م.
- جورج انطونيوس: يقظة العرب، تعريب على حيدر الركابى، دمشق، مطبعة الترقى.
- جون بالدرى: العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن ابان الحكم التركى ١٩١٤-١٩١٩، ترجمة سيد مصطفى سالم، القاهرة، المطبعة الفنية د.ت.

- حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين. القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
- خديجة أحمد على: العلاقات اليمنية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، مكتبة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ١٩٨٣م.
- سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس: البحر الأحمر في التاريخ والسياسة، القاهرة ١٩٨٠.
- سيد مصطفى سالم: تكوين اليمن الحديث، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٣.
- عبد الواسع بن يحيى الواسعى: تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، القاهرة، الطبعة الثانية.
- فاروق عثمان أباظة:
(أ) الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢–١٩١٨م بيروت، دار العودة، ١٩٧٩.
(ب) عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩–١٩١٨، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦.
- مبارك محمد الحرشنى: النظم الإدارية والمالية في تهامة عسير خلال الاشراف السعودى، جدة، دار العلم، ١٤٠٥هـ.
- محمد بن أحمد العقيلى:
(أ) تاريخ المخلاف السليماني، جزءان، الرياض، دار اليمامة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
(ب) مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير (تحقيق)، نادى ابها الأدبى، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م.
- محمد فؤاد شكرى وآخران: نصوص ووثائق في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، الانجلو المصرية.

- مديحة درويش: العلاقات السعودية المصرية ١٩٢٤-١٩٣٦، رسالة دكتوراه غير منشورة ١٩٧٨م، مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٥٥٦.
- نخبة من الأساتذة: معجم أعلام الفكر الانسانى، المجلد الأول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Hogarth: Arabia, Oxford 1922.
- Jacob, H.F. Kings of Arabia, London, 1923.
- Toynbee, Arnold J: Islamic world, Survey of International Affairs vol 1, London, 1927.

رابعا: الدوريات:

- الأهرام، اغسطس ١٩٠٩.
- العرب، يوليو- اغسطس ١٩٨٦.
- المساء، ديسمبر ١٩٣٠.
- المقتطف، سبتمبر ١٩٢١، مايو ١٩٣٣.
- المقطم، ديسمبر ١٩٣٠.
- المنار، المجلد ١٦.

وثائق الدراسة

وثيقة رقم (١):

معاهدة مكة المكرمة بين الملك عبدالعزيز آل سعود وبين الحسن الإدريسي ١٤ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ – ٢١ أكتوبر ١٩٢٦م.

رغبة في توحيد الكلمة، وحفظاً لكيان البلاد العربية، وتقوية الروابط بين أمراء الجزيرة العربية، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن علي الإدريسي على عقد الاتفاقية الآتية:

المادة الأولى: يعترف سيادة الإمام الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر ١٣٣٩هـ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي والتي كانت خاضعة للأدارسة في ذلك التاريخ، تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية.

المادة الثانية: لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة، وكذلك لا يجوز أن يمنح أي إمتياز إقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة: لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب، وإبرام الصلح، إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة: لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى.

المادة الخامسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحكم إمام عسير الحالي على الأراضي المبينة في المادة الأولى مدى

حياته ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة وأهل العقد والحل التابعين لإمامته.

المادة السادسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية والنظر في شئون عشائرها، من نصب وعزل وغير ذلك من الشئون الداخلية من حقوق إمام عسير، على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين.

المادة السابعة: يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة.

المادة الثامنة: يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة: تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة: دونت هذه الاتفاقية باللغة العربية من صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين.

المادة الحادية عشر: تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة.

وقعت هذه المعاهدة في ١٤ ربيع الآخر ١٣٤٥ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٢٦م.

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها	إمام عسير
عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود	**الحسن بن علي الإدريسي**
الختم الملكي	الختـم

عبدالمنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي: دكتوراه في التاريخ من جامعة عين شمس بمرتبة الشرف عام ١٩٧٩، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ورئيس قسم التاريخ بفرع جامعة القاهرة بالفيوم، أمين عام الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وعضو اللجنة العلمية العليا لترقية الأساتذة على مستوى الجامعات المصرية، وله العديد من المؤلفات العلمية في مجال: التاريخ الحديث والمعاصر.